مجلة
مركز الوثائق والدراسات الإنسانية
جامعة قطر

داخل العدد

* قراءة في الفكر الغربي : الصدمة الاستعمارية والعمق الحضاري

* محمد إقبال ودوره السياسي والوطني

* مقارنة التركيب الداخلي لمدينة الدوحة مع النماذج العامة لتراكيب المدن

* تحليل العلاقة بين الطلب والإنتاج الصناعي في بعض أقطار مجلس التعاون الخليجي

* مفهوم الشعر عند نزار قباني

العدد التاسع السنة التاسعة ١٩٩٧م

الدوحة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

المسح الجغرافي - الطبي لولاية اليمن سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٨م

تأليف/ د٠ عبد الحكيم حكمت

ترجمة وتعليق/ د٠ محمود الحاج قاسم محمد

طبيب أطفال - باحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي

الموصل - العراق

مقدمة المترجم :

يمثل هذا البحث جزءاً من تقرير طبي كتبته هيئة طبية مؤلفة من ثلاثة أطباء كلفت من قبل السلطان عبد الحميد الثاني (الذي حكم ١٨٧٦ ١٩٠٩م) بزيارة خمس من الولايات العثمانية ابتداء من سنة ١٨٨٧م ولمدة ثلاث سنوات ونيف وهذه الولايات هي طرابلس الغرب [١] وبنغازي والحجاز واليمن وبغداد .

ولأجل إعطاء فكرة موجزة عن التقرير نقتطف بعض الفقرات من مقدمة رئيس الهيئة الطبية التي كتبت التقرير وهو الدكتور عبد الحكيم حكمت (والذي كان في زمانه أستاذاً بكلية الطب في استانبول وعضواً في الجمعية الطبية العثمانية ورائداً في الجيش) ، يقول الدكتور عبد الحكيم حكمت : «اقتضت الإرادة السنية أن تقوم هيئة صحية بجولة في الولايات العربية لإجراء مسح طبي شامل فيها . وهذه الولايات هي طرابلس الغرب وبنغازى والحجاز واليمن وبغداد ، وذلك خلال ثلاث سنوات ونيف من التحريات والبحث والاستقصاء لدراسة كل جوانب هذا الموضوع بالغ الأهمية» .

«ويسرنا أن نرفع تقريرنا هذا على هيئة كتاب سميناه (استكشافات طبية) وهو يعني (دراسات طبية) ولعله من الجدير أن نذكر خلفيات هذه المهمة والهيئة المذكورة ، حيث وردت إلى كلية الطب مراسلات تتضمن استفساراً من الإرادة السنية حول طرائق العلاج المحلي في الولايات العربية ، وكذلك تطلب تفصيلات عن الحالة الصحية ومسحاً للأمراض المنتشرة وعوامل إنتشارها في كل ولاية على حده» .

«وقد قسمنا كتابنا هذا إلى قسمين : الأول ، حول المسح الطبي وسميناه الطبوغرافيا الطبية لهذه الولايات . والثاني ، لمحات عن الطب العربي المطبق في هذه الولايات وإبراز جوانبه التاريخية والاجتماعية والعلمية . وقد تناولنا وصف الطبوغرافيا الطبية لكل ولاية على حده . وهذه تشمل جغرافية الإقليم وجيولوجية الأرض والمياه والحرارة والرياح والمساكن والملابس والغذاء والبنية الجسمية ومزاج السكان والعادات والحرف والأمراض المنتشرة ومكان وهيئة المقابر . وحيث أن طرق العلاج التي يزاولها الأطباء العرب في مختلف هذه الولايات المذكورة هي طرائق متشابهة ، لذا رأينا من المناسب جمعها في قسم و احد وسردها دون تمييز وتجنب التكرار ما أمكن» .

كما راعينا منتهى الدقة والعناية عند جمع المعلومات وتدوين المشاهدات المختلفة خلال هذه المهمة حتى تكون الدراسة على أتم وجه من الصحة والحقيقة .

نقول إن ماجاء في التقرير كان مصداقاً لما ذكر في المقدمة فقد تناول التقرير ثلاث مسائل مهمة هي :

الأولى : الأمراض المنتشرة .
الثانية : العوامل والعادات التي تساعد على إنتشار الأمراض .
الثالثة : طرق العلاج وأنواع الأدوية المحلية .

وبذلك أعطى التقرير صورة واضحة المعالم لأوجه الحياة الاجتماعية في المنطقة العربية، وتأثير ذلك على صحة الإنسان . كما حوى التقرير حالات مرضية وطرق علاجها ، وسرد لبعض القصص التي شاهدتها الهيئة عن كثب وإشارات لبعض الروايات من المرضى .

كل ذلك جاء بشكل واضح وأسلوب سهل وكلام علمي موزون يدل على خبرة الهيئة الطبية العالية ورأيها المعتدل وملاحظاتها الدقيقة المتعمقة في كل حالة تصادفها ، فلا نرى أي نقد لاذع لطريقة علاجية من طرق العلاج الشعبي ، بل يحاول التقرير دائماً إيجاد المبررات لعدم استعمال الوسائل الأخرى من الطب .

وصف المخطوط

لم يتيسر لنا مشاهدة المخطوط ، ولهذا ننقل هذا الوصف عن الأستاذ الدكتور عبد

الكريم أبو شويرب حيث يقول : «لهذا المخطوط نسخة واحدة فقط ، وهي في مكتبة جامعة استانبول وقد آلت إليها ضمن مجموعة كتب ومخطوطات حولت من مكتبات القصور (مكتبة قصر يلدز) والتي أهديت للسلطان عبد الحميد كنسخة وحيدة ، والمخطوط في حالة جيدة وتجليد مزخرف وعليه الطغراء المعروفة والحروف المذهبة» .

«أحجام الصفحات / ٢١ سم ، ٢٨ سم ، وتوجد هوامش أو حواشي أو تعليقات أو رسوم» .

«الخط / نسخ عادى حسن مقروء . عدد الصفحات ٤٧٠ صفحة ، ١٠ أسطر في كل صفحة» [٢] .

ونضيف القول بأن رقم المخطوط هو (٤٣٢٠) .

لقد اعتمدنا في إعداد هذا البحث على الصورة المستنسخة بالمايكروفيلم . وإن مانقدمه هنا هو ترجمة للجزء المتعلق بولاية اليمن من المخطوط عدد صفحات هذا الجزء هي (٧١ صفحة) ، نقدم فيما يلي ترجمة للنص المتعلق بولاية اليمن وقد ارتأينا تسميته بـ «المسح الجغرافي - الطبي لولاية اليمن سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٨م» .

أما دليلنا بأن زيارة الهيئة لليمن كانت سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٨م فهو ما يلي :

يقول الدكتور عبد الكريم أبو شويرب «جاءت هذه البعثة إلى طرابلس سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٧ - ١٨٨٨م) «وزارت عدة مناطق في ولايتي طرابلس وبنغازى وتركت لنا وثيقة لدى مكتبة المحفوظات بالقلعة وعليها ختم الطبيب عبد الحكيم حكمت ورفيقه عباس وهي شهادة لطبيب شعبي بأنه كفوء» [٣] .

وبناء على ماجاء في الجزء المتعلق بولاية بغداد من التقرير أن الهيئة قد عايشت موجة وباء الكوليرا في بغداد سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٧/١٨٨٨م) .

وجاء في الصفحة الأخيرة من المخطوط «بأنه بفضل الله تم كتابة هذا الكتاب في شهر أيلول (سبتمبر) من سنة ١٣٠٦ رومية» وهو يقابل ١٨٩٠م .

لذا نستنتج مما سبق كله بأن بداية المسح الطبي للولايات الخمس كانت طرابلس ونهايتها بغداد . وأن زيارة الهيئة لولايتي الحجاز واليمن كانت خلال سنة ١٣٠٤هـ/

١٨٨٨م . وإذا أخذنا التسلسل الذي ذكر في التقرير بنظر الاعتبار تكون زيارة اليمن بعد الحجاز .

النص المترجم

المسح الجغرافي - الطبي لولاية اليمن (سنة ١٣٠٤ رومية / ١٨٨٨م)

تقع ولاية اليمن في قارة آسيا في الجهة الجنوبية الغربية من جزيرة العرب . تمتد بين درجات العرض ٣ درجات و ٢٦ دقيقة - ٢٠ درجة و ٢ دقيقة شمالاً . وبين درجات الطول ٤١ و ١٨ دقيقة - ٤٥ درجة و ١٢ دقيقة شرقاً .

يحدها من الشمال ولاية الحجاز ومقاطعة نجد وجنوباً خليج عدن وشرقاً حضرموت وبلاد نجد وغرباً البحر الأحمر . تضم ولاية اليمن سناجق صنعاء وتعز والحديدة وعسير ، ومركز الولاية هو صنعاء .

تقع مدينة صنعاء على خط العرض ١٥ درجة و ٢٢ دقيقة شمالاً ، وعلى خط الطول ٤٤ درجة و ٣٢ دقيقة شرقاً وسط واد عظيم يمتد من الجنوب حتى الشمال وارتفاعها عن سطح البحر ٢٢٨٠م .

ولاية اليمن كولاية الحجاز تنقسم إلى سرا وتهامة . السرا اليمنية - هي عبارة عن سلسلة جبلية تبدأ من أراضي عدن الواقعة في الجهة الجنوبية لجزيرة العرب وتمتد من الجنوب إلى الشمال ، وتنتهي في المحل المسمى (فتق) . وتهامتها - تتكون من مجموعة الأراضي والصحارى التي تبدأ من عدن وتمتد إلى جدة وكذلك بعض الأراضي في ساحل البحر الأحمر والجبال الصغيرة الكائنة فوقها .

طول السرا اليمنية تتجاوز ٣٧٠ ساعة وعرضها من ٢٥ - ٣٨ ساعة وارتفاعها من ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ م . وأعلى هذه الجبال هي جبال مناخة وجبل حضور وجبل شعيب وجبل فتشة وجبل بيت الفراكة وجبل كوكبان وجبل حجة وغيرها .

وطول تهامة ٤٠٠ ساعة وعرضها من ساحل اليمن وحتى قاعدة سرا من ١٠ - ١٥ ساعة .

السرا اليمنية ليست سلسلة منفصلة ، ويتخللها عدد من الوديان تلتقي في تهامة وفي أكثرها تجرى مياه جارية لذا فإن هذه الوديان قد قسمت السرا اليمنية إلى عدة أقسام أشهرها سبعة عشر .

مع كون اليمن تعد من الممالك الحارة إلا أن البلدان والقرى الواقعة على سرا اليمنية مثل صنعاء وأبها ومناخة وكوكبان وحجة وطويلة هواؤها لطيف ومعتدل . وعلى عكس بعض المواقع الساحلية في تهامتها مثل الحديدة وقنفذة والمخاويجة تعتبر من الممالك الحارة .

المياه الموجودة في اليمن : ثلاثة أنواع إحداها تنبع من الجبال وتجرى إلى الوديان وأكثرها هي المياه التي تنصب في البحر والأخرى هي مياه الأمطار . والنوع الآخر هو الماء الذي يؤخذ من الآبار .

المياه العظيمة التي تجرى في أودية ولاية اليمن عددها تقريباً ثمانية عشر، وهي بعد أن تسقي وتروى أراضي شاسعة تصب أغلبها في البحر ، وبعضها تصل إلى تهامة وتغور في أراضيها الرملية . وفيما عدا هذه هناك مياه جارية من منابع كثيرة ، وهذه أيضاً تضيع مياهها في الوديان علماً بأن مياه هذه الينابيع دائمة الجريان .

مياه الأمطار في الولاية تشكل سيولاً كثيرة تجرى في الوديان وتسقي وتروى أراض شاسعة . ومثل ذلك أيضاً الأمطار التي تمطر في الصحارى والتي تنبت العديد من المزارع . إلا أن هذه السيول ليست بالطبع دائمة الجريان بل تنقطع بعد الأمطار بفترة قصيرة . الأمطار في هذه الولاية تبدأ بالهطول عادة من تشرين الثاني (نوفمبر) وحتى نهاية أيلول (سبتمبر) وتشتد في آذار (مارس) وحتى نهاية مايو . في المواقع التهامية أيضاً تمطر الأمطار الأخرى وتكون من تموز (يوليو) حتى نهاية أيلول (سبتمبر) وعادة ماتكون في جبال سرا فقط .

تتصف أمطار هذه الأماكن بصفتين الأولى أنها تمطر فجأة وتستمر بقدر ماينكسب الماء من الكبوب . والأخرى خاصة في شهري أبريل ومايو تبدأ كل يوم في نفس الوقت وتستمر إلى نفس الوقت . وهكذا ففي شهري أبريل ومايو تبدأ الأمطار نهاراً في الساعة

التاسعة وتستمر بدون إنقطاع حتى الحادية عشرة . وعندما لايكون في الجو أية غيمة فخلال دقيقة أو دقيقتين تظهر غيوم سوداء وتمطر . ولا يكون هطول الأمطار في جميع الأماكن فبينما تكون شديدة في ناحية إذ بها لا تمطر في ناحية أخرى . والأمطار التي تحصل في سنة لا تشبه أمطار السنة الأخرى .

في بعض الجبال التي ارتفاعها ٣٠٠٠ م درجة الحرارة تنزل أحياناً تحت الصفر . ومن المفروض أن تثلج هنا بدل الأمطار إلا أن جفاف الهواء يحول دون ذلك . ومع ذلك تثلج في حالات نادرة في جبال حضور وشعيب وفتشة . وعلى العكس في بعض فيافي الجبال الأقل ارتفاعاً يتجمد الماء في بعض تجمعات الماء والصهاريج على الرغم من كون درجة الحرارة تكون فوق الصفر ببضع درجات . وسبب ذلك من زيادة التبخر ، ولهذا السبب أيضاً على الرغم من إرتفاع درجة الحرارة يحس بالبرودة على الدوام . في حين في تهامة على الرغم من كون درجة الحرارة أقل يكون التبخر بطيئاً جداً فيبقى الجلد مغطى دائماً بالعرق ويحس بالحرارة.

في وديان بعض الجبال كجبال سنان باشا وكوكبان وحجة لعدم وجود مياه جارية وآبار، يجمع الأهالي والعساكر مياه الأمطار في أحواض كبيرة فيشربون منها الماء ويستعملونه . المياه المتجمعة في هذه الأحواض قد تبقى أحياناً ثلاثة أو أربعة أشهر ، ولكون هذه الأحواض مفتوحة فإن الرياح ترمي فيها التراب والغبار وغير ذلك ، ونتيجة لذلك ولركود المياه يتشكل فوقها طبقة خضراء من الطحالب ويكون الماء في حالة عكرة دائماً مما يقتضي إبعاد الطحالب عند أخذ الماء من تلك الأحواض . لذا في هذه المناطق الحمى والدوسنتاريا غير نادرة وبالإمكان التخلص من هذه الأمراض باستعمال طريقة الصهاريج في تفريغ هذه المياه .

أكثر آبار هذه الولاية تقع في تهامة ونادراً ما تجد بعضها في جبال سرا . عمق بعض آبار تهامة لايتجاوز ذراعاً أو ذراعين . مياه هذه الآبار تجرى في وديان جبال سرا وتغور في أراضى تهامة الرملية . والمياه الضائعة هذه ولكونها لا تصادف ممالح خلال مرورها فإن أكثر مياهها عذبة ، بينما مياه الآبار القريبة لسواحل تهامة بشكل عام مرّة .

المياه التي تشرب وتستعمل في الحديدة وقنفدة هي مياه الآبار ، حيث يجلب الماء من الآبار التي تبعد عن حديدة بمسافة ثلاثة أرباع الساعة بواسطة الجمال أو الحمير أو غيرها . ويقوم بعض الفقراء كل صباح بملء الخزانات بالمقدار الكافي من الآبار وبواسطة الأنابيب يصل الماء إلى المدينة والأسبلة فيشربون ويستعملون تلك المياه . ومع أن مياه هذه الابار مائلة للمرارة إلا أن درجة حرارتها لاتنزل إلى أقل من ٢٥° على الدوام .

الرطوبة :

ولاية اليمن من ناحية الرطوبة يمكن أن تقسم إلى منطقتين : إحداها منطقة تهامة والأخرى منطقة سرا . في تهامة وخاصة الأماكن القريبة من الساحل تكون الرطوبة عالية ، وفي الليالي يكون الهواء رطباً إلى درجة التشبع . وكذلك سفوح الجبال المطلة على تهامة تبقى مغطاة بالرطوبة حتى الظهر . وهذا شرط لنمو ونشوء أشجار البن . ولهذا السبب يكون جلد الإنسان مغطى بالعرق حتى في الشتاء .

منطقة سرا دائماً ليس فيها رطوبة ، ونتيجة لجفاف الهواء يتيبس جلد الإنسان ، وللحيلولة دون تشقق جلده يدهن الأهالي الساكنون على جبال سرا جلودهم بدهن الزيت في الأسبوع مرتين على الأقل .

في جميع أنحاء جبال سرا يكون الربيع في كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) وآذار (مارس) ، وموسم الصيف في نيسان (أبريل) ومايس (مايو)وحزيران (يونيو) . وموسم الخريف في تموز (يوليو) وآب (أغسطس) وأيلول (سبتمبر) . وموسم الشتاء في تشرين أول (أكتوبر) وتشرين ثاني (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) .

درجات الحرارة :

تختلف في ولاية اليمن حسب المواسم والمواقع وعلى هذا الشكل ، المواقع الكائنة على جبال سرا في موسم الحر درجة حرارتها من ١٧ - ٢٧° ، وفي موسم البرد من ١٠ - ٢٠° ، وعلى هذا يكون معدل درجة الحرارة في جبال سرا ١٨ر٥° . ودرجة الحرارة هذه تختلف بارتفاع جبال سرا ، أقل هذه الجبال إرتفاعاً في شهرى نيسان (أبريل) ومايس (مايو) في حالات نادرة تصل درجة الحرارة فيها إلى ٣٤° . في حين في الشتاء أى في

أيلول(سبتمبر) وتشرين الأول (أكتوبر) تتجمد سطوح المياه الراكدة وبعد الظهر تنخفض درجة الحرارة تحت العشرين في الغالب . وفي أعلى منطقة أى الجبال التي إرتفاعها ٣٠٠٠م مثل جبل مناخة تنخفض درجة الحرارة خمس درجات تحت الصفر في الغالب صباحاً .

الهواء في السواحل رطب وحار دائماً صيفاً وشتاءً . وفي الحديدة كما تصل الحرارة إلى الأربعين صيفاً في النهار ، كذلك تتجاوز الثلاثين ليلاً ، وفي موسم الشتاء لاتنزل عن أربع عشرة درجة . درجة حرارة مكة المكرمة مع كونها مرتفعة أكثر من الحديدة ، إلا أنه لايحس بالحرارة أو بالضيق لأن جو الحديدة مشبع بالرطوبة دائماً ، مما يمنع التبخرات الجلدية .

رياح اليمن :

الرياح التي تهب فيها ليست موسمية بل غير منتظمة . بعض هذه الرياح التي يظن أنها من الرياح الموسمية التي تأتي من الهند تنتشر في البحر دون أن تمر باليمن . تهب بعض الرياح في اليمن في كل المواسم ، إلا أن أشدها يكون في تشرين الأول والثاني (أكتوبر ونوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) . ونادراً ما تهب في مناطق تهامة في تموز (يوليو) وآب (أغسطس) رياح خفيفة من رياح السموم ، إلا أن هبوبها على جبال سرا نادر جداً .

في صنعاء نفسها وجبال سرا وبعض المواقع يتبدل الهواء بأشكال ثلاثة وعلى الوجه التالي :

في ساعات الصباح في موسم الصيف وحتى الساعة الرابعة أو الخامسة برودة الهواء ولطافته تشبه هواء استانبول في شهرى نيسان (أبريل) ومايس (مايو) وفي وقت الظهيرة يشبه هواء استانبول في شهر آب (أغسطس) . وأخيراً من الساعة التاسعة وحتى الثانية عشرة يتماثل هواء الخريف في استانبول .

في بعض الأحيان هذه التبدلات تظهر ، والأشخاص الذين لم يألفوا هذه التبدلات الهوائية يضطرون لتبديل ثلاثة أنواع من الملابس في اليوم .

ورغم أن التبدلات الهوائية غير شديدة وغير ظاهرة في تهامة ، إلا أن تفاوت درجات الليل والنهار كبير . والموقع المشتهر بقلة التبدلات الهوائية في ولاية اليمن يقع في تهامة جنوب الحديدة وعلى بعد اثنتي عشرة ساعة من الحديدة ويحوى خمسمائة دار ، وهواؤه لطيف هو قصبة بيت الفقيه . ولعدم وقوعها في الساحل فإنها ليست حارة ورطبة كالحديدة، ولكونها ليست على جبال سرا فإنها ليست كصنعاء باردة ويابسة بل إن هواءها وسطاً بينهما .

المواقع المشهورة بسوء الطقس في ولاية اليمن هي نفس قصبة الحديدة وقصبة أبو عريش الملحقة بلواء الحديدة والتي تقع شمالها وعلى بعد أربعين ساعة منها . والأخرى هي قصبة تعز التابعة للواء تعز .

وعدا ما ذكرنا فإن كافة ولاية اليمن وخاصة الأجزاء الواقعة على جبال سرا هواؤها لطيف ، وإذا كان هناك محذور فأنه التبدلات اليومية فقط .

بعض حيوانات ولاية اليمن :

الحصان والفرس والجمل والغنم والحمير والبغال والبقر والمعز البري والغزال والأرانب والكلاب والقطط والثعالب والقرود والذئاب والدجاج والأوز والدجاج الرومى والحمام قمرى والهدهد والخفاش والعصفور ، ونوع من البلابل والحشرات الحية والعقارب والسلاحف والحيوانات البحرية مثل الأصداف والأسماك والسرطان والأستاكوزة والمرجان وغيرها .

من هذه الحصان جنسه وإن كان لا يقاس بحيوانات العراق إلا أنه جميل وديع . والأحوال الصحية في صنعاء تنفع كثيراً جنس الخيول . وكذلك أمراض الخيل (سقاوة وعرة) قليلة فيها حتى أن الحيوانات المصابة بهذه الأمراض عند بقائها مدة في صنعاء تتشافى .

بعض أنواع البقر هنا كبيرة الجسم كثيراً والحمير قوية البنية تمر في الجبال الوعرة بمهارة حتى ليعتري الإنسان الخوف من سقوطها في أية لحظة . جنس القردة كثير خاصة في جبال سرا حيث تتجول عند السفوح على شكل مجاميع .

في اليمن بعض أنواع الخفاش كبير الحجم حتى يصل حجم بعضها إلى حجم حمامة صغيرة . ولإيقاعها خسارة شديدة في البساتين يضطر الأهالي إلى جني الفواكه قبل

أوانها . ولهذا السبب نجد الفواكه في الأسواق غير ناضجة . هذه الطيور تطير في أزقة صنعاء ليلاً وتطير ظهراً بسرعة فائقة لدرجة أنها تصطدم بزجاج النوافذ وتكسره . الحشرة الحمراء في اليمن تتجول بين أوراق أشجار التين الفرنكي وفوق أوراق الأشجار التي تتجول عليها تضع بيضها الذي يستخرج منه نوع من الأصباغ التي يستفيد منها الأمريكان .

ولأن أطراف صنعاء صخرية ووعرة فإن جبالها عارية من الحشائش . ولهذا فإن أغنامها هزيلة جداً وتكاد تخلو من الشحوم . وغذاء الحيوانات هو الجندقوق الذي يزرعونه والذرة الصفراء .

النباتات :

مع أن النباتات التي تنبت داخل ولاية اليمن كثيرة ، إلا أن الأنواع التي شاهدتها وتحققت منها هي : البن والقات والنخيل والعنب والورس والسفرجل والخوخ والكمثرى والتفاح والليمون الحلو والليمون الحامض والبطيخ والناريج والتين والرمان والتوت والبرقوق والمشمش والجوز واللوز والكرز والفراولة والكرز الحامض والتمر هندى وقصب السكر والدوم (أشجار تشبه النخيل ومن أغصانها تصنع الحصر) وشجر البقس والسواك وشجر الصمغ العربي والموز والزنجبيل والتين الشوكى والشمام وشجر الطرفاء والطنوب والخرشوف والبامية والباذنجان والملوخية والسبانخ والطماطم والقرنبيط والكرفس وأنواع القرع والبازليا والفاصوليا والفلفل الأحمر والبقدونس والنعناع والفجل والشلغم والبنجر . وهذه هي الخضراوات : الخس والكرات والسلق والجزر والرازيانج والخس البرى وشوك الجمال والكرفس البرى الجندقوق اكبرى ونرجس صفاء الليل والورد والحبق والياسمين والرنم وزهرة المسك والياسمين البرى والبصل والثوم والزيتون والبطيخ والشمام والخيار والريحان وعود الشوك والحنظل والخلنج والزقوم والصبر والسنبل والشقائق والبنفسج والبطيخ الأصفر والعنبر وغيرها من النباتات التي ينبتها الله كالحنطة والشعير والعدس والذرة والباقلاء والقمح المصري والسمسم والحبوب التي تجود بها بلاد الشام .

شجرة البن :

شجيرة خالدة دائمة الخضرة ومن الفصيلة الغليظة . الوطن الأصلي للشجرة المذكورة

هي الحبشة . وفي نهاية القرن الخامس عشر نقلت إلى اليمن . وفي أواخر القرن السابع عشر نقلت إلى بتاويا ، وفي أوائل القرن الثامن عشر نقلت إلى جزر أنتيل وبعد ذلك نقلت إلى أوربا وأمريكا .

شجرة البن معروفة من الجميع ، سواء أوصافها النباتية وكيفية إعدادها وغير ذلك ، ولا داعي لتعريفها ووصفها هنا . ولكن الحديث عن كيفية نشوء ونمو وتربية شجرة البن وذكر بعض الخصائص والمميزات المقبولة من الناحية الفنية والعقلية لا تخلو من الفائدة .

أشجار البن في اليمن تنشأ وتنمو على جبال سرا ، ولا تنبت في تهامة . والمواقع التي تنبت فيها ترتفع عن سطح البحر من ١٦٠٠ - ٣٠٠٠م . أشجار البن تنبت في الجهة الغربية من جبال سرا التي تطل على البحر الأحمر ، وفي الجهة المطلة على الشرق لا تنبت قطعياً . وحسب ما بينا سابقاً فإن الجهة المطلة على الجهة الغربية تكسى بالضباب من الصباح وحتى قبل الظهر بساعة . وقبل انتصاف النهار بساعة يرتفع الضباب من أسفل الجبال إلى القمم . ولهذا السبب هواء هذا الطرف من الجبال يكون مشبعاً بالرطوبة دائماً . وفضلاً عن عدم وجود ضباب أصلاً في الجهات الشرقية ، فإن هواءها جاف جداً . والرطوبة القليلة التي تكسبها ليلاً تزول بعد طلوع الشمس . وهكذا فكما أن الضباب في الجهات الغربية من الجبال شرط لازم لنمو ونشوء شجرة البن ، كذلك وحسب ما استعرضناه عند الكلام عن درجة الحرارة في جبال سرا شتاءً وصيفاً فإنها لا تتجاوز العشر درجات . وهذا عامل مهم جداً في تعايش شجرة البن . وإعطاء أشجار البن الثمار ثلاث أو أربع مرات في السنة هو نتيجة لهذين العاملين المذكورين . لذا فإن بعض النباتات التي تتبع هذين الشرطين تثمر في اليمن مرتين أو ثلاث مرات ، بينما تثمر مرة واحدة في أقاليم أخرى . ويبدو أن الأوضاع النباتية الخاصة باليمن لم تجلب اهتمام بعض المشتغلين بعلم النبات . ولمعرفة أهل اليمن أن أشجار البن تحتاج في أكثر الأوقات إلى وسط رطب وظل ، فإنهم في حقول البن وبين أشجار البن وخاصة في الجهات المعرضة للشمس يزرعون ما يسميه العرب طنوب . وهي أشجار ضخمة تبقى طرية دائماً وأوراقها عريضة ، والخلاصة أن تبخراتها وظلها كثير. وبين هذه الأشجار تعيش بعض أشجار البن دائماً خضراء وطرية . وعلى العكس من ذلك فإن المواقع التي تقل فيها أشجار الطنوب تكون أوراق أشجار البن في حالة إصفرار وذبول نتيجة تعرضها لحرارة الشمس .

أكثر جبال سرا تشكل سلسلة من الشمال إلى الجنوب والجهة المطلة على الغرب لاترى الشمس حتى مايقرب من منتصف النهار والجهة الغربية نفسها تنقسم بواد صغير إلى سفحين . أشجار البن في السفح المطل على الشرق تغرس بينها أشجار الطنوب بكثرة ، في الوقت الذي تغرس فيه أشجار الطنوب أساساً في السفح المطل على الغرب في حقول البن . وعلى العكس من ذلك فإن عدم وجود أشجار الطنوب أو لقلتها في السفح الأول ، نجد أشجار البن صفراء ذابلة . وعلى العكس من ذلك فإنها في السفح المقابل تكون طرية وحيوية .

والخلاصة أن أشجار البن التي مياهها متوفرة وسقيها وإرواءها منتظم تنمو وتنشأ في حالة طبيعية . وعلى العكس من ذلك فإن أشجار البن التي مياهها غير كافية تكون صفراء ذابلة وثمارها قليلة وضعيفة . ولهذا السبب فإن بن اليمن في بعض المناطق وخاصة في قضاءى مناخة وأنس يرجح على بن بعض الجهات الأخرى . وحبة بن اليمن حجمها صغير ، وإحدى الحبتين اللتين في الغلاف تسقط غالباً . والحبة الباقية تكون مستديرة وصفراء مخضرة ورائحتها ولذتها خاصة بعد القلي ألذ وألطف من بقية أنواع البن .

إن سبب كون بن اليمن مخضر اللون وحجمه صغير وكذلك حباته تسقط قبل النضوج ، يعود إلى الشروط الزراعية والحصادية التالية :

رغم أن الأراضي القابلة لزراعة البن في اليمن قليلة الإتساع لأن بعضها أراضي صخرية ، فإن الأهالي بسبب فطرتهم التي جبلت على نوع من الكسل يزرعون أشجاراً كثيرة في مساحة ضيقة . ولهذا فإن أشجار البن تكون كثيفة ولا تنمو بشكل طبيعي وجيد ، مما يؤدى إلى إنقال الحبوب الخضراء قبل أوانها ويتسبب في سقوط حبة من الحبتين اللتين في بعض الأغلفة أولاً وبقاء حبة البن صغيرة الحجم وعدم وصولها للحجم الطبيعي ثانياً.

قبل أن تكون في اليمن حقول كثيرة للبن كان البن في المخا يبقى حتى يبلغ حجمه الطبيعي دون أن يسقط حتى يجنى ، مما جعل لبن اليمن شهرة واسعة . في حين لم تعد الحالة الآن كذلك . ويفضل بن اليمن جميع أنواع البن بسبب المميزات الزراعية والحصادية ،

إلا أنه لم يمكن الاستفادة بحق من هذه المميزات الطبيعية مع الأسف ، فبن اليمن أغلى مما عداه من بن . والسبب راجع إلى قلة حاصلات البن مقارنة بالحاصلات الأخرى والكلفة العالية لوسائل النقل رغم الشهرة السابقة .

في حالة بيع بن اليمن بخمسة عشر قرشاً في اليمن ترى بكم يستوجب بيعها في أوربا ؟!

إن ما يسمى «بن المخا» في أوربا الذي يباع بأربعة أو خمسة فرنكات ، هل شاهد وجه اليمن ؟! إن البن الذي تنتجه المخا والذي يسمى «بن المخا» ، إذا قسمناه على الأماكن التي يباع فيها ، فهل يصيب كل مكان حبة واحدة منه ياترى ؟!

على الرغم من اشتهار بن اليمن باسم «بن المخا» إلا أنه أدنى جودة من بن قضاءى المناخة وأنس حالياً . وتأتى شهرة بن المخا من أنه ظهر لأول مرة كبن لليمن ، ولأن الأوربيين لم يطلعوا بحق على أنواع بن اليمن الأخرى .

يتبين من الاستعراض السابق أنه إذا أريد أن يستفاد من المميزات الطبيعية في اليمن في زراعة البن ، فيجب ترك فواصل ومسافات كافية بين الأشجار ، ومن الضروري أن تترك البذور حتى تصل الأشجار إلى حد كمال النمو ، وبذلك يمكن الحصول من كل حقل على ضعف المحصول الذي كان يعطيه ، وبدون شك سيكون بدرجة عالية من القوة والجودة .

وسبب كون بن اليمن مخضراً ، هو جنيه قبل وصوله حد الكمال ، وأن هذا البن المخضر يصفر ويتفتح لونه مع مرور الزمن في الأجولة .

بعد إخراج بذور (حبات) البن ، يتبقى الغلاف الذي يطلق عليه «القشر» . وهذه القشور بعد أن تتيبس تصبح سمراء مسودة وتستهلك في اليمن ، فجميع أهالي اليمن وبدون استثناء ينقعون هذا القشر فيما يسمونه جنبة والتي هي عبارة عن قدور أو أباريق مصنوعة إما من التراب أو المعادن ، مثلما يفعل أهل إيران بالشاى الذي يشربونه خالياً من السكر وفيه هلاك محقق لكليهما . شرب واستعمال القشر منتشر وعام في اليمن وخاصة في جبال سرا ، حتى أن هناك من يشرب في اليوم أكثر من أربعين أو خمسين

كأساً ، ومع أن التأثير الفسيولوجي للقشر لم يبحث حتى الآن ، إلا أنه يلاحظ أن تأثيره يشبه تأثير القهوة ، ويظن أهل اليمن أن للقشر تأثيراً مبرداً ومضاداً للتعرق ولذلك يعللون شربه .

القات :

في علم النبات سلالة هذا النبات من فصيلة ما يسمى (عرقية الرهبان) ، وهو شجرة خالدة يطلق عليها (جلاستروس ادوليس) . طول هذا النبات من ٢ - ٤ م ، أوراقه بيضاوية متقابلة مسننة ، وطولها من عشرين إلى سبعة أعشار الذراع ، وعرضها من عشر إلى أربعة أعشار الذراع (الذراع وحدة المقايس قديماً «المترجم») . القات الذي ينبت في اليمن على نوعين ، يطلق على إحدهما (القات الأسود) والآخر (القات الأبيض) . ومع كونهما من جنس نباتي واحد إلا أنهما يختلفان في بعض الأوصاف على الشكل التالي :

* **القات الأسود** أوراقه خضراء غامقة ولماعة وساقه وأغصانه سمراء مائلة للاحمرار .
* **القات الأبيض** أوراقه أصغر وأطول وألوانها خضراء كاشفة وأوراقه وأغصانه مغطاة بغبار خفيف ذى لون أبيض .

من هذين النوعين القات الأسود أكثر انتشاراً واستعمالاً . وحسب ادعاء الأهالي ، عندما يلاك القات الأبيض بمقدار كاف فإنه يؤدى إلى السكر ، بينما القات الأسود ليس له هذه الخاصية .

الأوراق التويجية للقات الأسود بيضاء مصفرة بينما القات الأبيض صفراء غامقة وأصغر . الأوراق التويجية للقات خماسية وقمعية الشكل . وحبوب اللقاح التذكيرية متعاقبة مع الأوراق التويجية . ومكان حبوب اللقاح سائب وعريض ومندمج بقرص ذى خمسة مواضع ويحوى حبتين جانبيتين من حبوب اللقاح ، إبرتها قصيرة وعضو التأنيث عبارة عن فص ثماره جافة وحبوبه مستورة البسباسة وكثيرة السويداء .

ينمو القات في الغالب في حقول البن ثلاث أو أربع مرات في السنة . بعد قلعه يقوم الأهالي بمضغه ، وبلع مائه وبعد نصف ساعة يرمون بقاياه . شروط إنبات القات تشبه

شروط إنبات البن تقريباً . وعلى الأغلب يزرع في حقول البن وأحياناً يزرع في البساتين هنا وهناك في أماكن جيدة الحفظ .

أهالي اليمن حريصون ومدمنون على القات لدرجة أن أكثرهم يصرفون ما لا يقل عن سبع أو ثمان ساعات خلال الأربعة والعشرين ساعة في مضغ القات . الأغنياء منهم يخصصون في دورهم محلات خاصة لمضغ القات يسمونها (مبرز أو مفرج) . يزينون تلك المحلات بأحسن أنواع الزينة . في النهار صباحاً حتى الساعة الثالثة ، وفي الليل أيضاً بعد الطعام حتى الساعة الثامنة يجتمع الأحباب في المبرز يمضغون في جهة وفي الجهة الثانية يشربون القشر فيستأنسون . وهناك الكثير من الأهالي ممن يستهلكون في اليوم أربعين أو ستين أو مائة قرش أو أكثر من القات . وأكثر مايقدمونه عند قدوم ضيف هو أن يقدموا له حزمة أو حزمتين من القات مع إبريق مملوء من القشر المعد أو إبريقين . وهناك من يبيع القات في الطرقات .

تأثير القات على الجسم :

إن تأثيراته الفسلجية غير معلومة ، إلا أن منعه النوم أكثر من القهوة أمر محقق ، وتأثيراته الأخرى أيضاً من المحتمل أنها تشبه القهوة . قمت شخصياً بإجراء التجارب مرات عديدة وبمقادير وشروط مختلفة ، فلم أشاهد تأثيراً بيناً للقات سوى قلة النوم وقليلاً من عدم الشهية . ولو نظرنا إلى أقوال أهل اليمن فإنهم يؤكدون بأن القات يزيد في العطش لذا تجدهم يشربون الماء العذب ، ومع ذلك فإن في تركيب القات مادة قابضة مما يجعل الذين يمضغون القات في حالة إمساك مستمر .

ويفهم من كلام العرب بأن القات الأبيض يؤدى إلى نوع من السكر والخدر . وهكذا فإن مسألة كون القات يقلل النوم والشهية ويمنعهما ، أمر محتم لأن ذلك يفهم من التجارب منذ القدم ، حيث كان العرب قديماً يطلقون على القات (قات الصالحين) لأن الأوائل التاركين للدنيا منهم والمنزوين في المغارات كانت أقواتهم اليومية مقداراً من القات مع كمية من الماء ، وبذلك كانوا يقطعون النوم ويتحملون الرياضة والمقاومة . ولاتصافه بهاتين الصفتين هناك احتمال مجيء لفظة القات من (القوت) . ومع مرور الأيام قام الأهالي

بتقليد أهل الصلاح بشكل أعمى حتى أصبح استعمال القات الآن عادة عمت الجميع كما أظن . وهناك احتمال إمكانية استخلاص مادة مؤثرة من أوراق القات شبيهة بالكوكائين . ومن النباتات المشهورة في اليمن الورس . هذا النبات من الحبوب كالعدس من فصيلة البقوليات . ينمو خاصة في اقضية آب وعدن ، وجيلة التابعة للواء تعز ولاينمو في بقية اليمن . عند وجودي في اليمن لم أصادفه طرياً ، لذا لم أتحقق من أوصافه النباتية . من الممكن استخلاص صبغ أصفر جميل من حبوبه ، إلا أن أهل اليمن لا يعلمون ذلك ويصدرونه بشكله الخام إلى الخارج .

امبة [٤] .

الفاكهة المسماة بهذا الاسم شجرة أوراقها بيضاء ولماعة وشبيهة قليلاً بأوراق البلوط وحوافيها مسننة وأديمها كبير . الثمرة المذكورة بحجم البيضة ، لونها في البداية أخضر وبعد النضج لونها بين الأصفر والبني الفاتح ، وهي مكورة خضراء جلدها سميك . وبعد سلخ الجزء القابل للأكل ترى النواة الكبيرة التي بداخلها ، وهي لذيذة الطعم والرائحة ، أكلها رائع وحتى عملها كطرشى مقبول ولطيف .

ومن النباتات المشهورة في اليمن مايطلق عليه العرب :

الطلح [٥] .

ينبت هذا النبات في جبال سرا ويشبه الصبار (التين الشوكى) ولكن أوراقه ليست عريضة كالتين الشوكى ولكنها على شكل منشور مستطيل ومزينة بصف من الأشواك في زوايا المنشور الأربعة ، وزهره الأصفر يظهر في قمة المنشور . طول النبات من متر إلى ستة أمتار ، ومن أجل مشاهدة أضخم هذه النباتات يكفى المرور في بعض الطرقات في لواء صنعاء بين مركزي قضاءي حجة وعمران .

مع أن ساق النبات المذكور على شكل منشور مستطيل أيضاً ، إلا أن الأشجار الضخمة المعمرة منها تأخذ سيقانها شكلاً إسطوانياً مضغوطاً يلاحظ أنه من الفصيلة الصبارية وأوراقه التي تقوم مقام السيقان لو تجرح بسكين يسيل منها نوع من الحليب الأبيض . وإذا جمع هذا الحليب وترك في الهواء تصلب وأخذ لوناً أسمر . ولو ترك في الماء لفترة أخذ أوصاف ولون البطيخ .

وقد علم ذلك من إفادة القائمقام العسكري حسن بك والذي اشتهر في صنعاء باشتغاله بالكيمياء منذ زمن طويل . وعلى بعد ساعتين ونصف من صنعاء في الموقع المسمى وادي ظهر هناك نوع من الأشجار يسمى الأهالي الواحدة منها تالوك . أوراق هذا الشجر بيضاء ووجهها الأعلى أملس وظهرها خشن وعصيباتها ظاهرة ، والأوراق تكون مجتمعة في نهاية الغصن وهي سداسية . ثماره كما أنها تشبه التين من الخارج ، كذلك تشبهه من الداخل أيضاً وذلك بكثرة بذورها ، ثماره عنقودية وتقع في محل اجتماع الأوراق أى في إبط الأوراق التي في نهاية الغصن عنقوده يحمل من ١٠ - ١٥ ثمرة . وينضج الثمر في شهر نيسان (أبريل) . منظر هذا الشجر من بعيد يشبه منظر شجر التوت ، ساقه يميل إلى البياض ، يبلغ طوله خمسة إلى ستة أمتار . طعم ثمره فيه حموضة وله رائحة طيبة مخصوصة لا توصف . ومن النباتات التي تختص بها اليمن نوع يسمى :

عدس [٦] .

لهذا النبات حبتان في غلاف واحد ، كبير الحبوب لا يختلف عن الحنطة وخواصه الأخرى مثل خواص الحنطة تماماً ، وكذلك من النباتات الخاصة باليمن النبات المسمى :

عشر [٧] .

حباته أصغر من الحمص وأكبر من العدس ، لونه أخضر وقوته الغذائية تشبه الحمص والعدس ، يقليه الأهالي على الصاج ويأكلونه مثل اللب . هذا النبات يطلق عليه في طرابلس الغرب (برميخ) ، وقد تكلمنا عنه عند التحدث عن المسح الطبي لولاية طرابلس . يستعمل أهالي اليمن فحم جذوره للبارود والناركيلة وكذلك أوراقه الطرية لإخراج دودة المدينة من الجسم . سنترك الحديث عن هذه المسألة هنا لأنها ستبحث فيما بعد عند الكلام عن أمراض اليمن .

وهكذا بعد ذكر وتعداد النباتات يتبين أن في أقاليم اليمن الحارة والمعتدلة والباردة تنبت وتنشأ نباتات مختلفة ، وهذا يعني أن الديار اليمينة تجمع ثلاثة أقاليم . أما الحديث عن نشوء ونماء النباتات البرية وغير المعلومة فإن عمراً كاملاً لا يكفى لذلك . وأخيراً مع

امتياز الديار اليمنية بهذه الدرجة من الاستعداد فإن الجزء الأعظم من تلك الأراضي مملوء ومزين بالنباتات مما يشير إلى إلى كونها ديار مباركة .

قنة قنة [٨] :

من نفس فصيلة القهوة ، والاثنان ينتميان لنفس القبيلة النباتية ، وخواصها الطبيعية أيضاً مشتركة . والشروط الإنباتية للقنة قنة مطابقة لشروط إنبات القهوة ، وأن أجود أنواع القنة قنة ينبت في اليمن أمر لا يدعو للشك .

والأوربيون ينقلون إلى أوربا نباتات كثيرة ، وكذلك جميع بن اليمن وبذلك يستفيدون من حاصلاتها المختلفة . وكما يعملون نقترح على حضرة وجناب الشاهنشاه جلب بعض الشتلات من القنة قنة من أمريكا وزرعها في حقول البن والاعتناء بغرسها وإنمائها ، وبذلك يمكن التخلص من صرف النقود الكثيرة مقابل شراء القنة قنة ، كما يمكن الحصول على نقود كثيرة من أوربا مقابل التصدير إليها . وبهذا الخصوص يمكن عرض مايلي : في جبال ملهمان الكائنة في ناحية ملهمان التابعة لقضاء باجل الملحقة بلواء الحديدة كانت فيها أشجار القنة قنة ١٣٠٣ رومية . وقد أخبرنا بذلك مدير الناحية المذكورة وهو من أهالي مكة المكرمة ويدعى الحاج عبد الرحمن أفندى .

المعادن في ولاية اليمن :

المعادن فيها كثيرة ، والناظر لجبال اليمن الملونة بالألوان المختلفة كالأخضر والأحمر والأصفر والأسود والأبيض وبقية الألوان ، يحكم بوجود معادن مختلفة في هذه الولاية، مثل الذهب والفضة وبقية المعادن . إلا أن الكهوف الحاصلة من كثرة الحفريات ، سقطت واندرست بذلك أكثر المناجم وضاعت العلامات الدالة لوجود تلك المعادن كما يفهم من الروايات التاريخية .

المعادن المستفاد منها الآن في اليمن هي : الحديد والرصاص والأحجار اليمنية الكريمة والجص الحي والمرمر . من المواقع التي يستخرج منها الحديد موقع جوار باب المندب ، ومع أنه يستخرج منه منذ القدم إلا أن عدم معرفة الأهالي بأصول استخراجه جعلهم يحصلون على كمية قليلة ، والحديد المستخرج هو أغلى من الحديد المستورد من أوربا ونوعه

أحسن . يصنع الأهالي منه الأسلحة القاطعة . وهناك في موقع (جارحة) القريبة من أبها مركز لواء عسير كميات من معدن الحديد ، يستخرج العرب منها كميات جزئية من الحديد الذي جنسه أغلى من الذي سبق ذكره . وأيضاً في المحل المسمى (أرضية) الملحقة بقضاء قنفدة التابعة للواء عسير هناك معدن الرصاص موجود بشكل يفوق الوصف .

العقيق اليماني يستخرج من جبل لقمة الواقع في الجهة الشرقية من صنعاء ومن جبل ضوران الواقع في قضاء أنس وفي جبل هران الواقع مقابل قصبة زمار . ويطلق على أنواعها أسماء : على الشفاف الأحمر بلون الدم (رماني) وعلى الأفتح (شعيبي) ، وعلى الأفتح أكثر (ذهبي) ، وعلى الشفاف الأزرق (سماوى) ، وعلى الشفاف البنفسجى (وردى) ، وعلى المنقط الذي كحبات الفراولة الشفافة إلى حد ما (عنبى) ، والتي مركزها حاد وفيها حلقات منوعة يطلق عليها (عين الهر) . والعقيق الذي فيه طبقة أو فوقه نقطة حمراء وشفافة (مذهبي) . والشفاف أو غير الشفاف من أى لون وفي محيطها رسوم (شجرة أو زهرة أو حاجب أو رأس أو حيوانات) يطلق عليه اسم (مشجر أو مشكل) . هذه الرسوم عبارة عن تبلور بعض الرسوم في المشجر أو المشكل . وهذا التبلور يحدث نتيجة نفوذ بعض المحاليل من الملح من فتحة في السطح وهذا المحلول يأخذ شكلاً معيناً ويتبلور . وبعضها يكون على شكل النباتات الصغيرة التي تتحجر ويستدل على ذلك من هيئة النباتات التي بين طبقتي الصخور التي لم تتبلور ومن الحيوانات التي لم تتحجر .

الجبس الأبيض :

يتواجد في (بنى حشيش) و (بنى حارث) القريبة من صنعاء وهو يصرف ويستعمل فيها . ويوجد أيضاً في المحل المسمى (وادى سر) التابع لناحية بنى حشيش ، نوع من الناعم الشفاف يقطع على شكل ألواح يستعملها أهل اليمن للشبابيك بدل الزجاج . وفي الجهة الشمالية الشرقية من صنعاء وعلى بعد ساعة ونصف منها في الموقع المسمى (حدة) يوجد معدن جص طبيعى يستعملونه كالجص المصنع . وفي قضائي رداع وصعدة يوجد نوع من المرمر يصنع منه الأهالي القناديل والقدور والأطباق والأواني التي تشبه الفخار .

المياه المعدنية المعروفة داخل ولاية اليمن :

أولاها في الجهة الشمالية من صنعاء وعلى بعد أربع ساعات ما يسمى (عين

الخارد) **والثانية** قرب وادي رمع ومدينة البعيدة الواقعة جوار ضورا منبع يسمى (حمام علي) . **والثالثة** (حمام سليمان) المنبع القريب من جبل ألاس . **وأخيراً الرابعة** (حمام دمت) المنبع الكائن بين رداع وقطعية ، وهذه جميعها مياه معدنية كبريتية ، ويقال أن المرضى المصابين بالأمراض الجلدية يستفيدون منها في حالة دوامهم عليها .

طبيعة أراضي اليمن :

أكثرها أراض بركانية ، وفي الجهة الشمالية من صنعاء بين قضائي عمران وصنعاء هناك بعض المواقع فيها صخور نارية مسودة وكذلك في طريق الحديدة قبل الوصول إلى صنعاء بساعة ونصف توجد على الطريق بعض الجبال التي تكون كتلاً من ال(لاو) السوداء الداكنة التي يبدو وكأن رمادها قد برد على التو .

وأكثر الجبال مكونة من أحجار كلسية وفحمية وحديدية ومنجنيزية ونحاسية وطباشيرية . ويندر وجود الجرانيت والبازلت .

الأبنية والإنشاءات في مدن وقصبات اليمن مبنية عموماً بشكل واحد . مركز الولاية مدينة صنعاء ترتفع على سطح البحر ٢٢٨٠م وتقع وسط واد واسع يحدها من الشرق جبل لقم ومن جهة الضرب عقبة عسير ، والجهة الشمالية والجنوبية يشكلان المدخل والمخرج . مدينة صنعاء محاطة بسور وأبراج مبنية بنوع من الطين تقاوم الأمطار مدة طويلة . والمدينة من الداخل أيضاً مقسمة بواسطة جدار إلى قسمين ، صنعاء تشكل القسم الأعظم في الطرف الجنوبي من المدينة ، والجزء المتبقي يسمى بئر العذب .

الدور المبنية في صنعاء أكثرها ثلاثة أو أربعة أو خمسة طوابق ، مبنية بالحجر والجص وقليل منها بالحجر والطين . وباستثناء بعض الدور ليس في الدور فناءات مفتوحة، وأطراف سطوحها محاطة بأسوار مبنية . أكثر الأبنية غرفها قليلة الشبابيك والموجودة صغيرة وأكثرها لا تنفتح ومسدودة بألواح الطلق . الشبابيك الكبيرة نسبياً تحتوى على مصراعين من الخشب يفتحان ويغلقان إلى الداخل . وفي الأبنية الجديدة سواء في بئر العذب أو داخل صنعاء شبابيك من الزجاج في بعض الدور الكبيرة ، ومن أعلى مسدودة ومزينة بزجاج ملون بألوان وأشكال مختلفة . وأرضيات الغرف مفروشة بالأسمنت والجص والآجر .

مرافقها الصحية واسعة حتى أنها في حجم الغرفة ، يقومون فيها بقضاء الحاجة الطبيعية وأحياناً يغتسلون . ومن المرافق يخرج مجريان منفصلان أحدهما مخصص للبول والآخر للغائط ، مجرى البول عبارة عن أنبوب معمول من الصفيح أو ميزاب مطلي بالجص ممتد من الفتحة التي في غرفة المرافق حتى الأسفل . والمجرى الآخر عبارة عن قناة تبدأ من تحت الجدار وحتى سطح الأرض ، وفتحتها المفتوحة في الزقاق واسعة ومائلة إلى الداخل . لذا فإن البول المتدفق من مجرى البول يتبخر نتيجة جفاف الهواء فتنتشر منه روائح الأمونيا في الأزقة .

والقاذورات التي تتجمع في مدة يومين أو ثلاثة في طرف القناة الواسعة حيث يرمى عليها الرماد والتراب الذي في الدور فيختلط معها فتصبح القاذورات مختلطة مع شئ من المواد الرملية ، ويجمع اليهود هذه المواد من الأزقة كل يوم وينقلونها إلى المزارع ويحققون بهذا شيئاً من النظافة الجزئية للأزقة .

وبيوت العرب الذين في بئر العذب أيضاً بنفس الحال ، إلا أن الدور المبنية على الأصول الحديثة مرافقها متصلة بآبار محفورة . وفي الجهة الشمالية الشرقية من بئر العذب يقع حى اليهود المبني من اللبن والطين ولا تتجاوز الطابق أو الطابقين . ولكون أطراف صنعاء عارية من الغابات وصخرية فإن الأهالي يحرقون فضلات الحيوانات الجافة (الجلة) بدل الحطب ، وواسطة الإضاءة لديهم على الأغلب زيت الزيتون أما الكاز والشمع فنادراً ما يستعملونها .

أزقة صنعاء إضافة لكونها ضيقة وملوثة بالغبار والتراب فإنها معرجة وغير منتظمة لذا فأخذ صورة لها أمر مستحيل . ولكن أزقة بئر العذب واسعة إلى حد ما ولا تخلو من الحدائق والبساتين التي في داخل الدور أو بينها . وفي صنعاء نفسها هنا وهناك سواء بين الدور أو خارج المدينة يوجد بساتين وحدائق بكثرة .

تبدلات الهواء تكون في الغالب سبباً لتلف الخضراوات ونتيجة لذلك فإن خضراوات اليمن غالية قليلاً ، لذا فإن الأهالي الذين لديهم حدائق وبساتين قد اعتادوا على زراعة الخضراوات التي يحتاجونها . في الجهة الغربية من صنعاء نفسها هناك ماء جار كبير

يسمى (غيل الأسود) لا يشرب الأهالي منه بل يروون ويسقون منه الحدائق والبساتين ، وهناك في أغلب دورهم آبار مياه مرة . إن أهالي صنعاء يشربون مياهاً عذبة تنبع من آبار أخرى مختلفة .

الأغنياء من الأهالي يمضون الصيف في مصايف فيها حدائق غناء ورياض لطيفة مثل (روضة) التي تقع بعد صنعاء بثلاثة أرباع الساعة ، والأخرى (وادى ظهر) التي تقع على مسافة ساعة ونصف ، والأخرى (حدة) التي تقع على مسافة ساعة ونصف .

سوق صنعاء مزدحم ودكاكينه صغيرة جداً ، إلا أن الدكاكين الثلاثين أو الأربعين التي أنشئت حديثاً واسعة ومنشرحة . في صنعاء نفسها بضع جوامع وعدد كبير من المساجد . فيما عدا جامع البكرية المخصص للسنة والواقع في الجهة الجنوبية من صنعاء ، لا يوجد أى جامع تتوفر فيه الشروط الصحية . وفي أكثر المساجد العائدة للزيدية لا يوجد مفروشات سوى قطع من الحصير الغليظ اليابس أغلبها مغطاة بالغبار والتراب ويفوح منها روائح كريهة .

في الجهة الشمالية من صنعاء يقع المستشفى العسكري الذي يضم أبنية منتظمة ولطيفة وموافقة للشروط الصحية . وهناك في صنعاء مدرسة رشدية واحدة مع بضعة مدارس إبتدائية لا تتوفر فيها الشروط الصحية حيث يجلس الطلاب في أماكن محصورة لا يتجدد فيها الهواء .

محل ذبح الحيوانات خارج المدينة وخالية من المحاذير الصحية .

المياه المستعملة تذهب بواسطة الأنابيب من كل طابق إلى غرفة المرافق ومن هناك وبواسطة المجرى المخصص للبول تجرى إلى الأزقة . أوساخ ونفايات المدينة تنقل بواسطة نساء اليهود بسلال إلى الحقول والبساتين ، ومع ذلك تجد الأزقة مغطاة بالغبار والتراب دائماً . ولكون الأراضي صخرية فإنه لا تحدث أوحال كثيرة نتيجة الأمطار .

يوجد في صنعاء إضافة للنزل الوحيد للمسافرين ودكان الطباخ ، هناك للبدو نزل أو نزلين مع بعض دكاكين الطبخ القذرة وغير المطابقة للشروط الصحية .

صنعاء فيها خمس أو ست حمامات ، إلا أن عدم ميل الأهالي للاستحمام فيها جعلهم يعملون لهم حمامات خاصة . أما في بقية المدن والقصبات فإن الحمامات غير موجودة .

صنعاء التي تحوى (٥٠٠٠ دار) يسكنها (٣٠٠٠٠ شخص) ، وبذلك يكون نصيب كل دار (٦ أشخاص) ، ولذلك لا يبدو عليها ازدحام . وإضافة لذلك فإن أكثر الأهالي عندما ينتقلون إلى محلات مصائفهم في الصيف تفرغ المدينة منهم إلى النصف .

طراز أبنية الحديدة وأوضاعها تشبه إلى حد ما أبنية جدة وأوضاعها فضلاً عن أن أزقتها ملوثة بالغبار والتراب أكثر منها . بقية قصبات الولاية تشبه في أوضاعها صنعاء إلا أنها متخلفة عنها بكثير .

إنه مما يدعو للعجب أنك تجد في بعض قمم جبال سرا قرى بيوتها متكونة من ثلاثة وأحياناً من أربعة طوابق ومبنية من دون طين أو جص وإنما بالحجر فقط . وهذا يدل على مهارة وتفوق الأهالي في فن العمارة . وأحياناً تجد على أعلى قمة جبل بناء على هذه الطريقة فيزيد عجبك من كيفية عيش هؤلاء هناك .

داخل ولاية اليمن وخاصة فوق جبال سرا مع أن سطوح الدور مسطحة إلا أن الأهالي لا ينامون في الليل على السطوح مثل بقية الأماكن العربية ، فكما أن درجة حرارة جبال سرا تعتبر مانعاً لذلك فإن تبدلاتها أيضاً تكون مانعاً أعظم . ولكن في الحديدة لعدم وجود هذا المانع فإن الأهالي ينامون على السطوح .

ملابس أهل اليمن :

قميص واسع حتى الركبة وكذلك واسع الأكمام جداً وصبغه غير ثابت ، ومع القميص فوطة (إزار) زرقاء ثم يلبسون فوق القميص قفطاناً وفي أرجلهم يلبسون النعال . الذكور جميعهم تقريباً يتمنطقون بخناجر حتى الركبة . وأكثرهم أثناء العمل والاشتغال يربطون الأكمام ويضعونها خلف الرقبة ، فتبدو الذراعان بدون أكمام . ويتميز العلماء بلبس عمامة كبيرة جداً وأكثر بياضاً .

ملابس النساء أيضاً مصبوغة بالأزرق وهي عبارة عن فستان طويل وداخله قميص وخارجه في الصيف شرشف معمول من خام رقيق وفي الشتاء قفطان ، وفي أرجلهن حذاء أصفر من النوع اليمني ، وعلى رؤوسهن غطاء سميك يعرض أكثرهن لنزلات البرد . ومع أن ملابس أهل اليمن غير كافية لإقليم فيه تقلبات الهواء غير قليلة ، فإن القابلية الشخصية التي يتمتع بها أهل اليمن جعلت تلك الملابس كافية .

طعام أهل اليمن :

طعام أهل اليمن بشكل عام غير كاف من ناحية الكمية والنوعية . ولعدم فراغهم من القات والقشر ، تجد شهيتهم مفقودة وأكلهم عبارة عن قليل من اللحم والأشياء المعمولة من العجين والدهن . إن الشيء الذي يؤدى إلى رداءة طعامهم هو القات والقشر ، وكذلك إن قلة المراعي في بعض جهات اليمن هي الأخرى تتسبب في عدم توفر الأغنام بشكل كاف وبالتالي عدم اكتفاء الأهالي من اللحم . وأخيراً نقول بأن أهالي اليمن لديهم قناعة وتحمل الجوع والعطش ، وإن غذاءهم على هذه الصورة جعل أجسادهم نحيفة . وبجانب ذلك فإن التأثيرات الإقليمية الخاصة جعلت قواهم العضلية شديدة بالنسبة لأجسامهم .

أهالي اليمن بشكل عام سمر اللون وذوو جهاز عضلي نحيف مع قابلية عضلية قوية بالنسبة لأجسامهم ، مزاجهم على العموم عصبي لمفاوى وعصبي صفراوى . أجسامهم قوية وصحيحة ويتحملون التعب والمشقة .

شعر الذكور في الأغلب طويل ومعقد ، وفي كل يوم يدهنون شعرهم وجميع جسدهم بزيت الزيتون وبعد ذلك يلبسون قمصاناً مصبوغة حديثاً باللون الأزرق ، ونتيجة لتماس الدهن معها تتلون أجسامهم بلون أزرق ، يكون موضع فخر ويتباهون به ويعتبرون الطبقة الزرقاء التي على أجسامهم دليلاً على النجابة .

طائفة النساء يومياً يدهن أجسامهن بزيت الزيتون . وإضافة إلى ذلك فإن القرويات خاصة يدهن شعورهن بالدهن في كل أسبوع . وقليلاً منهن يذهبن للحمام ، حتى أن أكثرهن يعتبرن الذهاب إلى الحمام عاراً ، لذا فإن أجسام النساء تفوح منها روائح كريهة .

طلاء أجسام الأهالي بالدهن والصبغ الأزرق (الجويد) يعتبر من الضروريات الطبيعية وذلك وكما ذكرنا بأن بعض المواقع على جبل سرا جافة ، فالتبخرات الجلدية تكون سريعة . لذا فبدهن الجسم بالدهون يجعله يقاوم التبخرات الشديدة . أما تأثير الصبغ الأزرق فغير معروف حتى الآن وربما يقوى الجلد . وأما دهن الشعر فإنه عبث لا فائدة منه .

وبالنسبة لأهالي الحديدة فنظراً لعدم وجود ضرورة طبيعية فإن هذه العادات غير موجودة لديهم . والجزء الأكبر من أهالي اليمن المتمدنون حريصون على شرب الخمر ومدمنون ، ولذلك تراهم يصابون بالأمراض التي تنتج عنه .

من العادات الغريبة والتي لها أهمية في مجال حفظ الصحة «الختان» الذي يجرى في بعض مواقع عسير وهو كما يلي :

أولاً : على رأس من يقومون بالختان على هذه الصورة قبيلة (أهل عطارش) الموجودون في قضاء فجايل التابعة للواء عسير . وأصول ذلك كالآتي : تجرى هذه العملية بعد سن خمس وعشرين وذلك لعدم تحمل الأطفال إجراءه في سن مبكرة ، وتجرى عند عقد القران والأغلب في الأعياد وذلك لأن الذي لا تجرى له عملية الختان لا يعتبر ذكراً بين القبيلة ، كما وأن البنات لا يرضون الزواج بغير المختتنين .

في اليوم الذي يجرى فيه الختان تذبح الأغنام وأحياناً الجمال ، ويأتي المدعوون مع هداياهم من جميع الأطراف . وفي ليلة يوم الختان يجتمعون في موضع معتاد عليه في القبيلة وحتى الصباح يقرؤون الأشعار ويطلقون البنادق ويغنون . وفي اليوم التالي ينصب مضيف مفتوح الجوانب يتسع لأكثر من ألف من الضيوف ، وبعد تناول الأكل يخرجون إلى ميدان يكون أقرباء الغلام من الذكور خلفه وخلفهم قريباته وبقية المدعوين خلف الجميع . يدعو الغلام أولاً الحلاق لإجراء العملية ، ثم يخرج ذكره ويقف في الميدان ليمدح نفسه وأباه وأجداده وشجاعته بشعر مؤثر وحزين . وخلال دقيقتين يقوم الحلاق بالختان بواسطة سكين صغير وبجرة واحدة ، وفي بعض القبائل يسلخ الجلد من السرة وحتى المقعدة . وبعد ذلك يقرأ الشعر وتطلق البنادق على المنوال السابق . ويؤخذ الغلام إلى سريره وينوم في منامه ويداوى جرحه من قبل الحلاق . وإذا أبدى الغلام علامات تألم كأن يقول آه أثناء العملية فإنه ينال تأنيب من حوله إلى درجة نعته بقلة الحياء كما أن خطيبته ترفض الاقتران به رفضاً باتاً . وعلاج المختتنين يستغرق عدة أشهر وهناك من يهلك نتيجة ذلك .

أنني لم أشاهد هذه العملية إلا أن سماعي لوصف ذلك واستخباري من عدد من القائمقامية في مخايل ومن عدد من الذوات وأهالي اليمن ومن كثير من التجار وأهل الخبرة ، جعلني اقتنع واطمئن إلى صحة ذلك . ومع أن أهل اليمن مفطورون على الذكاء إلا أنهم محرومون من الإقدام بالنسبة لقابليتهم الذاتية .

صنائع أهل اليمن :

الصنائع التي يشتغلون بها محدودة والصنائع المحلية التي يقومون بها هي بستاني ومزارع وبناء وجمّال وسايس وحائك وصائغ وبائع عقيق وخباز وخياط وبائع القمصان ، وفي السواحل عدا هؤلاء المراكبى والسماك وبائع الصدف ومبيض النحاس وغير ذلك . صنائعهم العقلية تكاد غير موجودة .

الأمراض الواقعة هنا :

أهمها داء الإفرنج وحرقة البول ودودة المدينة وحمى التيفود والدوسنتاريا وأمراض المعدة والأمعاء والحمى المتقطعة والحمى الخبيثة وأمراض الكبد والأمراض الجلدية وسل الرئة وداء الخنازير (تورم العقد اللمفية في الرقبة) والكسور والرضوض .

في صنعاء نفسها داء الإفرنج منتشر بكثرة ، فالنساء محترفات البغاء جميعهن مصابات ، والذكور الذين يرتادون هذه المحلات أغلبهم مصابون ، وهناك مصابون غير معروفين أيضاً . لذا فبهمّة والي اليمن وصاحب الشأن فيها دولت الحاج عثمان باشا الوطنية في صنعاء نفسها جمع هؤلاء المرضى في مستشفى خاص للرجال وآخر للنساء للعلاج .

دودة المدينة :

من الأمراض المحلية وتكثر في الحديدة وقنفدة الواقعة في تهامة وفي المواقع التي فيها الآبار الصالحة للشرب . وهذه الديدان تعيش في الأرض وبواسطة الماء ينتقل بيضها إلى الآبار . ويعتقد أن هذا البيض ينقل إلى بدن الأشخاص الذين يشربون الماء .

ولعلاج هذه الديدان وإخراجها بسهولة من البدن تؤخذ أوراق ما يسميه العرب في طرابلس نبات (برمنج) وفي اليمن (عشر) ويدهن الوجه العلوي للورقة بزيت الزيتون وتوضع على فتحة خروج الدودة وتربط ليلة واحدة . وفي اليوم التالي تخرج الدودة بشكل كامل . وهذا مارواه أهالي الحديدة وبعض الجراحين والصيادلة فيها .

أسباب الحمى التيفودية والحمى الخبيثة :

أحدها هذه المياه المجمعة في الأحواض في بعض الأماكن من اليمن ، والآخر هو التبديل المفاجيء بالنسبة للذين قد ألفوا الإقامة في جبال سرا وخاصة الذين هم أجانب بالنسبة لإقليم اليمن ، وبالذات بالنسبة لمناطق تهامة وخصوصاً المحلات التي هواءها رطب مثل منطقة الحديدة . أو بالعكس بعد التعود الإقليمي في مناطق تهامة القيام فجأة بتبديل المحل إلى جبال سرا يؤدى إلى ذلك . ومشاهدة مثل هذه الأمراض في الأجانب يؤكد ذلك .

الدوسنتاريا :

تحدث على الأغلب في الحديدة وفي أكثر الأحيان تكون مهلكة . مياه الحديدة لها علاقة بتولدها .

أسباب أمراض المعدة والأمعاء والكبد في اليمن هي في رداءة الأكل والإمساك الناتج عن تناول القشر والقات والخمر .

الحمى المتقطعة :

تظهر كثيراً في بعض المواقع على طول سواحل تهامة مثل الحديدة وقنفدة ولجة وأبو عريس ، وكذلك القصبات والقرى الواقعة في تعز وكوكبان الواقعة على جبال سرا حيث الجو رطب ويتم شرب الماء من الأحواض . وتحدث في هذه المناطق وخاصة في المواقع التي تحيطها بعض الأراضي الزراعية .

****

موجز البحث

البحث جزء من تقرير طبي باللغة التركية العثمانية كتبته هيئة طبية كلفت من قبل السلطان عبد الحميد الثاني بزيارة خمس من الولايات العثمانية (طرابلس الغرب وبنغازى والحجاز واليمن وبغداد) خلال السنوات (١٨٨٧ - ١٨٩٠م) . وجاء التقرير على هيئة كتاب سموه (استكشافات طبية = دراسات طبية) وقسم الكتاب إلى قسمين يبحث :

الأول : حول المسح الطبي وسموه الطبوغرافيا الطبية لهذه الولايات تناولوا فيه كل ولاية من الولايات من الناحية الجغرافية وجيولوجية الأرض والمياه والحرارة والرياح والمساكن والملابس والغذاء والبنية الجسمية ومزاج السكان والعادات والحرف ومكان وهيئة المقابر والأمراض المنتشرة .

الثاني : لمحات عن الطب العربي المطبق ، وجاء في التقرير ، حيث أن طرق العلاج التي يزاولها الأطباء العرب في مختلف هذه الولايات هي طرائق متشابهة ، لذا رأينا من المناسب جمعها في قسم واحد وسردها دون تمييز وتجنب التكرار ما أمكن .

وقد اعتمدنا في ترجمة هذا الجزء المتعلق بولاية اليمن على الصورة المستنسخة بالمايكروفليم لمخطوط الكتاب المذكور (المرقم ٤٣٢٠) والموجود في مكتبة جامعة استانبول.

الهوامش

(١) قام صديقنا الدكتور عبد الكريم أبو شويرب بترجمة الجزء المتعلق بولايات طرابلس وبنغازى ونشره باسم الطب الشعبي في ليبيا ، وصدر الكتاب سنة ١٩٨٩م . وله فضل تحفيزنا لترجمة بقية الأجزاء حيث أتمناها . وإن شاء الله سوف نضمنها لما ترجمه ونصدرها مجتمعة بكتاب واحد .

(٢) الدكتور عبد الحكيم حكمت ، الطب الشعبي في ليبيا . ترجمة الدكتور عبد الكريم أبو شويرب ، إصدار مركز دراسة جهاد الليبيين ، ١٩٨٩م ، ص ١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢ ، وقد ذكر الدكتور أبو شويرب بأن ما يقابل ١٣٠٥هـ هو ١٨٨٥م ، إلا أننا وجدنا بأن ما يقابل ذلك في كتاب التقويمان الهجرى والميلادى لفريمان جرنفيل ، ترجمة د . حسام الألوسي هو (١٨٨٧ / ١٨٨٨م) على حد قول الجغرافي التركى فائق رشيد أوناط .

(٤) امب = انب = انبه (هندية) = عنب (اليمن) = Margifora irdica أحمد عيسى ، معجم أسماء النبات ، ص ١٤ .

(٥) طلح = ام غيلان = ثمره يسمى (علف) = ولحاه يسمى بنك (فارسية) = Acacia gummifera المصدر نفسه ، ص ٢ .

(٦) علس - حنطة رومية = شعير رومي = كنيب اليمن = شعير هندى (Triticum Spelta) ، أحمد عيسى ، مصدر سابق ، ص ١٨٣ .

(٧) عشر / واحد عشرة = خرفع (وهو ثمره) = الأشخر (يمانية) وثمره يسمى بيض العشر (مصر) Ascleplas gigautea ، المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٨) قنة = بارزد = لزاق الذهب (صمغه) = Ferula galbariflua ، المصدر نفسه ، ص ٨٢ .